الفصل الثالث

عقيدة الإمام سفيان الثوري

انتشر عدد من الأحزاب في العصر الذي عاش فيه الإمام الثوري فقد وجدت الشيعة وهم الذين يرون أن الخلافة يجب أن تكون في بيت النبي، وقد قرروا أنها حق لعلي بن أبي طالب ثم لأولاده بالوراثة من بعده، وقال الغلاة منهم إن الأئمة معصومون. وقد هيأ ابن سبأ العقول إلى الاعتقاد بأن عثمان أخذ الخلافة بغير حق من علي وصي رسول الله. وقد انتشر التشيع في العراق[1] والحجاز ومصر. والحزب الثاني هم المرجئة الذي ظهر في دمشق بتأثير بعض العوامل المسيحية خلال النصف الثاني من القرن الأول الهجري. وقد ذهب المرجئة إلى القول بأن كل من آمن بوحدانية الله لا يمكن الحكم عليه بالكفر وأن ذلك موكول إلى الله وحده يوم القيامة. أما المعتزلة أو القدرية فقد نشأت في العراق وقد سموا القدرية لأنهم يقولون بحرية إرادة الإنسان وتتكون عقيدة القدرية من خمسة أصول: التوحيد، والعدل، والوعيد، والقول بالمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد كان لهذه الأحزاب أثر كبير في زوال الدولة الأموية فترى ما تأثيرها على شخصية هذا الكتاب؟[2].

(١) العراق: أعدل أرض الله هواء وأصحها مزاجاً وماء. قال المدائني: عمل العراق من هيت إلى الصين والسند والهند والري إلى الديلم والجبال. (معجم البلدان: ٤/٩٣-٩٥).

(٢) انظر تاريخ الإسلام، حس إبراهيم حسن: ٢/١-٧ .

المحبث الأول: الشيعة:

هم الذين ـ شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إماجلياً وإما خفياً. واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده. وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين، لا يجوز للرسل عليهم الصلاة والسلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله.

يجمعهم القول بوجوب اليقين والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر، والقول والتبري، وفعلاً وعقداً إلا في حال التقية ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك ولهم في تعدية الإمام كلام وخلاف كثير، وعند كل تعدية وتوقف: مقالة، ومذهب، وخبط. وهم خمس فرق: كيسانية، وزيدية، وإمامية، وغلاة، وإسماعيلية، وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال، وبعضهم إلى السنة، وبعضهم إلى التشبيه[1].

التشيع عند الإمام الثوري:

كان أهل الكوفة يناصرون علياً بن أبي طالب كرم الله وجهه في موقفه من معاوية بن أبي سفيان مادياً ومعنوياً، لكن هذه المناصرة لم تقو لأن تكون عقيدة لديهم حتى جاء عصر سفيان الثوري، حيث أصبح لأهل الكوفة عقيدة تشيع ذات مبادئ خاصة، وتفضيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه على باقي الخلفاء الراشدين، وتفسير للقرآن الكريم خاص بهم، وشرح خاص بهم لمصطلح الحديث.

---

(١) الملل والنحل، للشهرستاني: ٦٣ .

وكان سفيان يحب علياً رضي الله عنه فهو على مذهب أهل بلده إلا أنه لم يصل حبه إليه إلى حد الغلو كما كان عند البعض من أهل الكوفة، قال عنه الذهبي: «فيه تشيع يسير، كان يثلّث بعلي»[1][2]، إلا أنه تراجع عن هذا التشيع عندما سافر إلى البصرة في سفره الأول.

لقد كان سفيان الثوري سليم الصدر تجاه أصحاب رسول الله ﷺ، فقد ذُكر الإمام الثوري عند عاصم بن محمد فذكروا مناقبه حتى عدوا خمس عشرة منقبة، فقال: «فرغتم؟ إني لأعرف فيه فضيلة أفضل من هذه كلها، سلامة صدره لأصحاب محمد»[3].

وكان سفيان يقول: «إن قوماً يقولون لا نقول لأبي بكر وعمر إلا خيراً ولكن علياً أولى بالخلافة منهما، فمن قال ذلك فقد خطّأ أبا بكر وعمر وعلياً والمهاجرين والأنصار ولا أدري ترتفع مع هذه أعمالهم إلى السماء»[4].

ويقول أيضاً: «لا يجتمع حب علي وعثمان إلا في قلوب نبلاء الرجال»[5].

ويقول أيضاً: «إن أئمة العدل خمسة: الخلفاء الأربعة وابن عبد العزيز رضي الله عنهم ومن قال غير ذلك فقد اعتدى»[6].

وعنه قال: «امتنعنا من الشيعة أن نذكر فضائل علي رضي الله عنه»[7][8].

وقال عنه زيد بن الحُباب: «خرج سفيان إلى أيوب وابن عون فترك التشيع»[9].

---

(١) يثلّث: أي كان يقدم علياً على عثمان رضي الله عنهما في التفضيل.
(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٢٤١/٧ .
(٣) حلية الأولياء، للأصفهاني: ٢٧/٧ .
(٤) سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٢٥٣/٧ .
(٥) المرجع السابق: ٢٧٣ .
(٦) الكواكب الدرية، المناوي: ٢١٣/١ .
(٧) تاريخ الإسلام، للذهبي: ٢٢٨ .
(٨) سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٢٥٣/٧ .
(٩) المرجع السابق.

وقد عدّه ابن قتيبة في معارفه من الشيعة حيث صنفه ضمن الشيعة[1]. ويذكر صاحب التذكرة من شيوخه الإمام جعفراً الصادق[2][3]. وصنفه ابن النديم ضمن أكثر المحدثين على مذهب الزيدية الذين قالوا بإمامة زيد بن علي رضي الله عنه، ثم قالوا بعده بالإمامة في ولد فاطمة رضي الله عنها كائناً من كان بعد أن يكون قد استوفى شروط الإمامة[4].

وفي حكمة الإمام الثوري بهذا الخصوص يقول عمرو بن حسان: «كان سفيان نعم المداوي؛ إذا دخل البَصْرَة حدَّث بفضائل علي، وإذا دخل الكوفة حدّث بفضائل عثمان»[5].

المبحث الثاني: الإرجاء:

الإرجاء على معنيين: أحدهما: بمعنى التأخير كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾** ﴾[6]، أي أمهله وأخّره.

والثاني: إعطاء الرجاء.

أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح، لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد. وأما بالمعنى الثاني فظاهر، فإنهم كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة. وقيل الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا، من كونه أهل الجنة، أو من أهل النار. فعلى هذا: المرجئة، والوعيدية، فرقتان متقابلتان. وقيل الإرجاء: تأخير علي رضي الله عنه عن الدرجة الأولى إلى الرابعة. فعلى هذا المرجئة والشيعة فرقتان متقابلتان.

---

(١) المعارف لابن قتيبة: ٦٢٤ .
(٢) تذكرة الحفاظ، للذهبي: ١/٢٠٤ .
(٣) جعفر الصادق: بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين العلوي. (سير أعلام النبلاء: ١٠/١٠٤).
(٤) الفهرست لابن النديم: ٢٥٣ .
(٥) تاريخ الإسلام، للذهبي: ٢٣٧ .
(٦) الأعراف: ١١١ .

والمرجئة أربعة أصناف: مرجئة الخوارج، مرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية، والمرجئة الخالصة[1].

الإرجاء عند الإمام الثوري:

كما سبق وذكرنا انتشرت عقيدة الإرجاء في العصر الذي عاش فيه الإمام الثوري، إلا أن الإمام سفيان الثوري لم يرم بالإرجاء، فقد قال زيد بن أبي الزرقاء: سمعت الثوري يقول: «خلاف ما بيننا وبين المرجئة ثلاث، يقولون: الإيمان قول بلا عمل، ويقولون الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ويقولون بالاتفاق»[2]. وقال عنه المؤمل بن إسماعيل: «خالفتنا المرجئة في ثلاث: نحن نقول الإيمان قول وعمل وهم يقولون الإيمان قول بلا عمل، ونحن نقول يزيد وينقص وهم يقولون لا يزيد ولا ينقص، ونحن نقول نحن مؤمنون بالإقرار وهم يقولون نحن مؤمنون عند الله»[3]. وقال الفريابي: سمعت سفيان يقول: «ليس أحد أبعد من كتاب الله من المرجئة»[4]. وقال يوسف بن أسباط: سمعت سفيان يقول: «من كره أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله فهو عندنا مرجئ»[5]. وقال مؤمل بن إسماعيل: «مات عبد العزيز بن أبي رواد وكنت في جنازته حتى وضع عند باب الصفا، وصفّ الناس، وجاء الثوري فقال الناس: جاء الثوري جاء الثوري، حتى خرق الصفوف والناس ينظرون إليه، فجاوز الجنازة ولم يصل عليه لأنه كان يرمي بالإرجاء»[6].

وهذا الإرجاء الذي خالفه الثوري وعاب على أهله وجعله من أسباب رقة الدين الإسلامي فوصفهم بالأبعد من كتاب الله هو الإرجاء البدعة، أما إرجاءالسنة الذي كان يراه الثوري فيتجلى في قوله: «أرجِ كل شيء مما لا تعلم إلى الله ولا تكن مرجئاً واعلم أن ما أصابك من الله»[7].

---

(١) الملل والنحل: ٦٠ .
(٢) تاريخ الإسلام، للذهبي: ٢٢٨ .
(٣) حلية الأولياء، للأصفهاني: ٢٩/٧، سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٢٥٢/٧؟
(٤) حلية الأولياء، للأصفهاني: ٢٩/٧ .
(٥) تاريخ الإسلام، للذهبي: ٢٢٨ .
(٦) سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٢٧٣/٧ .
(٧) حلية الأولياء، للأصفهاني: ٣٣/٧ .

المبحث الثالث: المعتزلة:

ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقّبون بالقَدَرية، والعدلية. وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركاً، وقالوا: لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى، احترازاً من وصمة اللقب، إذ كان الذم به متفقاً لقول النبي ﷺ: «القَدَرية مجوس هذه الأمة» وكانت الصفاتية تعارضهم بالاتفاق، على أن الجبرية والقدرية متقابلتان تقابل التضاد، فكيف يطلق لفظ الضد على الضد؟ وقد قال النبي «القدرية خُصماء الله في القَدَر» والخصومة في القدر، وانقسام الخير والشر على فعل الله وفعل العبد لا يتصور على مذهب من يقول بالتسليم والتوكل، وإحالة الأحوال كلها على القدر المحتوم، والحكم المحكوم. والذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد: القول بأن الله تعالى قديم، والقديم أخص وصف ذاته. ونفوا الصفات القديمة أصلاً، فقالوا: هو عالم بذاته، قادر بذاته، حي بذاته، لا بعلم وقدرة وحياة. هي صفات قديمة، ومعان قائمة به، لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته في الإلهية. واتفقوا على أن كلامه محدَث مخلوق في محل. وهو حرف وصوت كتب أمثاله في المصاحف حكايات عنه. فإن ما وجد في المحل عرض قد فني في الحال. واتفقوا على أن الإرادة والسمع والبصر ليست معاني قائمة بذاته، لكن اختلفوا في وجوه وجودها، ومحامل معانيها. واتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار في دار القرار، ونفي التشبيه عنه من كل وجه. جهة ومكاناً، وصورة، وجسماً، وتحيزاً، وانتقالاً، وزوالاً، وتغيراً، وتأثراً، وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة فيها، وسموا هذا النمط توحيداً. واتفقوا على أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها، مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة. واتفقوا على أن الله تعالى لا يفعل إلا الصلاح والخير، يجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العبادة وأما الأصلح واللطف ففي وجوبه عندهم خلاف وسموا هذا النمط: عدلاً. واتفقوا على أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة، استحق الثواب والعوض والتفضل، وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار لكن يكون

عقابه أخف من عقاب الكفار وسموا هذا النمط: وعداً ووعيداً. واتفقوا على أن أصول المعرفة، وشكر النعمة واجبة قبل ورود السمع. والحسن والقبح يجب معرفتهما بالعقل واعتناق الحسن واجتناب القبيح واجب كذلك...

واختلفوا في الإمامة، والقول فيها نصاً واختياراً.

وعندهم طوائف كثيرة منها الواصلية والهُذيلية والنظّامية والجُبَّائية[1].

القدرية عند الإمام الثوري:

وكان الإمام الثوري ينظر إلى القدرية أنهم كفار فقد قال عمار بن عبد الجبار: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: سمعت سفيان الثوري يقول: «الجهمية كفار، والقدرية كفار». فقلت لعبد الله بن المبارك: «فما رأيك»؟ قال: «رأيي رأي سفيان»[2].

وكانت القدرية تقول بخلق القرآن؛ وهذا يعني أن كلام الله مخلوق، وهذا يسلب صفة الكلام عنه سبحانه وتعالى، وهذا غير جائز في حقه جل وعلا، لذلك كان سفيان يقول: «من زعم أن قل هو الله أحد مخلوق فقد كفر بالله عز وجل»[3].

وكانت القدرية تقول بأن الإنسان خالق أفعاله بنفسه فأنكر سفيان عليهم ذلك وقال: «اعلم أن ما أصابك من الله، ولا تكن قدرياً»[4].

وقد قال شعيب بن حرب[5] لسفيان: حدّث بحديث في السُّنة ينفعني الله به فإذا وقعت بين يديه «وسألني عنه» قلت: يارب حدّثني بهذا سفيان فأنجو أنا وتؤخذ، فقال: «اكتب، بسم الله الرحمن الرحيم، القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه

---

(١) الملل والنحل، للشهرستاني: ٢١ .
(٢) حلية الأولياء، للأصفهاني: ٢٨/٧ .
(٣) المرجع السابق: ٣٠/٧ .
(٤) المرجع السابق: ٣٣/٧ .
(٥) شعيب بن حرب: الإمام القدوة العابد شيخ الإسلام أبو صالح المدائني. روى عن سفيان الثوري. (سير أعلام النبلاء: ١٨٨/٩).

يعود، من قال غير هذا فهو كافر، والإيمان قول وعمل ونية يزيد وينقص.. إلى أن قال: يا شعيب لا ينفعك ما كتبت حتى ترى المسح على الخفين، وحتى ترى أن إخفاء بسم الله الرحمن الرحيم أفضل من الجهر به، وحتى تؤمن بالقدر، وحتى ترى الصلاة خلف كل برٍّ وفاجر، والجهاد ماض إلى يوم القيامة، والصبر تحت لواء السلطان جار أو عدل. فقلت: يا أبا عبد الله! الصلاة كلها؟ قال: لا. ولكن صلاة الجمعة والعيدين صل خلف من أدركت، وأما سائر ذلك فأنت مخير لا تصلي إلا خلف من تثق به وتعلم أنه من أهل السنة. إذا وقفت بين يدي الله فسألك عن هذا فقل: يارب حدثني بهذا سفيان بن سعيد ثم خلّ بيني وبين ربي عز وجل»[1].

المبحث الرابع: السلفية:

أهل السنة في التوحيد: إن الله تعالى واحد في ذاته لا قيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له.

وأما العدل فعلى مذهب أهل السنة أن الله تعالى عدل في أفعاله، بمعنى أنه متصرف في مُلكِه، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. فالعدل: وضع الشيء موضعه، وهو التصرف في الملك على مقتضى المشيئة والعلم، والظلم بضده، فلا يتصور منه جور في الحكم وظلم في التصرف.

وأما الوعد والوعيد: الوعد والوعيد كلامه أزلي. وعد على ما أمر، وأوعد على ما نهى فكل من نجا واستوجب الثواب فبوعده، وكل من هلك واستوجب العقاب فبوعيده، فلا يجب عليه شيء من قضية العقل.

وأما السمع والعقل: الواجبات كلها بالسمع، والمعارف كلها بالعقل، فالعقل لا يحسن ولا يقبح، ولا يقتضي ولا يوجب، والسمع لا يعرّف، أي لا يوجد المعرفة بل يوجب[2].

---

(١) تذكرة الحفاظ، للذهبي: ١/٢٠٦-٢٠٧ .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني: ٢٠.

السلفية عند الإمام الثوري:

كان الإمام سفيان الثوري على مذهب أهل السنة والجماعة ولا أدلّ على ذلك من حديث سفيان السابق مع شعيب بن حرب الذي أورد فيه أكثر المبادئ التي تمثل نقاط خلاف بين أهل السنة والجماعة وغيرها من الفرق.

إن الإمام يرى أن بعض آيات القرآن الكريم من متشابه آياته لا تفسر إلا كما وردت من غير تشبيه، فكان يأمر أصحابه أن يمرّوها كما هي، فقد صحّ عن معدان[1] عن الثوري في قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴿٤﴾﴾[2] قال: علمه. وهكذا جاء عن جماعة من المفسرين[3]

وكان الإمام الثوري يزكّي من أجمل القول في السلف، يروى أنه أصيب سفيان بأخ له يسمى عمر وكان مقدّماً، فلما سووا عليه قبره، قال: رحمك اله يا أخي! إن كنت لسليم الصدر للسلف، وإن كنت لتحب أن تخفي علمك ـ أي لا تحب الرياسة[4].

---

(١) معدان: الشيخ أبو الحسن علي بن الحسين بن الفسوي. قال عنه الذهبي: ما علمت فيه ضعفاً بعد ابن المغلس. (سير أعلام النبلاء: ١٤/٥٢٠).

(٢) الحديد: ٤

(٣) تذكرة الحفاظ، للذهبي: ١/٢٠٦ .

(٤) الجرح والتعديل، للرازي: ١/٦٩ .